مولانا أبو الكلام آزاد
رئيسا للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية

الدكتور شمس كمال أنجم
رئيس قسم اللغة العربية , و آدابها
بجامعة غلام شاه بادشاه،
مدينة راجوري جامو وكشمير

يعد مولانا أبو الكلام آزاد من العباقرة المعدودين في الهند، فقد كان عالما كبيرا ومفسرا عظيما وخطيبا مصقعا وأديبا بارعا وشاعرا فحلا وصحفيا ماهرا بل الذي يقرأه لا يستطيع أن يقرر هل هو عالم أكبر أو مفسر أكبر أو خطيب أكبر أو أديب أكبر أو صحفي أكبر.

ولد في عام 1888م الموافق لشهر ذي الهجه لعام 1305هـ[1] في حي القدوة الذي كان قريبا من باب السلام[2] لكن رجع أبوه مع أهله إلى الهند في عام 1898م إثر حادث لقيه في مكة المكرمة، فأقام في مدينة كولكاتا[3] فنشأ وترعرع أبو الكلام آزاد هناك في أحضان والده العالم،وتعلم على يديه[4] وعلى

([1]) تذكرة ص 310، قصة آزاد ص 136
([2]) تذكره ص 312 ، قصة آزاد ص 136
([3]) قصة آزاد ص83
([4]) شيئا عن مولانا أبوالكلام آزاد ص 33

أساتذة آخرين[1] حتى أجاد اللغة العربية[2] والأردية[3] والفارسية[4]، وتعلم التركية[5] والإنجليزية والفرنسية أيضا[6] وفرغ من تحصيله العلمي وهو صغير[7]

كان قد شغف بالكتابة والخطابة فأصدر مجلات عديدة[8] وعمل مديرالعدة مجلات أخرى قيمة عظيمة من مدن مختلفة في البلاد[9] إلى أن اشتهر أمره وذاع صيته وهو صغير فقابل كبار العلماء في عصره كمولانا ألطاف حسين حالي[10] و العلامة شبلي النعماني[11] ومولوي نذير أحمد[12] وشارك في مؤتمرات عظيمة[13] وخطب فيها[14] زار عدة بلاد عربية وغير عربية [15] وكذلك اهتم بتأليف الكتب

([1]) تعلم العلوم الابتدائية من مشايخ الحرم المكي مثل الشيخ محمد عمر والشيخ حسن (انظر "شيئا عن مولانا أبوالكلام آزاد ص 33) وبعد ما رجع إلى الهند تعلم في فترات مختلفة من مولانا محمد يعقوب الدهلوي، مولانا محمد إبراهيم ، شمس العلماء مولانا سعادت حسين، مولانا محمد شاه محدث رامفوري مولانا نظير الحسن اميتاوي (انظر قصة آزاد ص 138-140)

([2]) كانت العربية لغة المحادثة في بيته فكانت أخواته يتحدثن في العربية وكانت أمه أيضا لم تتحدث مع أبيه إلا بالعربية ولكن أجاد العربية لما رجع إلى الهند انظر قصة آزاد ص 163

([3])انظر قصة آزاد ص 181

([4]) تعلم الفارسية على يد والده وكذلك على يد الميرزا محمد حسين الطوسي الذي يقول عنه مولانا آزاد "لم أر أحدا يكتب بالفارسية أحسن منه وقد استفدت منه كثيرا ، فكنت أتحدث معه بالفارسية وكان يهتم دائما بتصحيح الأغلاط ، كذلك تعلمت كثيرا من أسرار اللغة الفارسية التي لا يمكن تعلمها من الكتب فكنت أكتب بالفارسية فكان يقوم بتصحيح الأغلاط ، ترجمت الجزء الأول من آب حيات من الفارسية وهو قام بتصحيحه (قصة آزاد ص 164)

([5]) انظر قصة آزاد ص 172

([6])مولانا أبو الكلام آزاد شخصيته وأعماله ص 150

([7]) كان عمره آنذاك خمس عشرة سنة انظر شيئا عن مولانا أبو الكلام آزاد ص 35

([8]) أول مجلة أصدرها مولانا آزاد هي "نيرنغ خيال" أصدرها في عام 1899م من مدينة كولكاتا وكانت مجلة شهرية ثم أصدر في عام 1901م مجلة "المصباح" الأسبوعية ، ثم أصدر في عام 1903م مجلة "لسان الصدق"الشهرية ، ثم أصدر في عام 1912م مجلة "الهلال"الأسبوعيه ، وبعد توقفها في عام 1914م أصدر في عام 1915م مجلة "البلاغ" الأسبوعه و بعد توقفها أصدر في عام 1927م مرة أخرى مجلته الشهيرة الاسبوعية "الهلال" كما قام بإصدار مجلة بالعربية باسم الجامعة في عام 1923 (انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م ص 18-20 ، أبو الكلام آزاد شخصيته وأعماله ص 109-110)

([9]) عمل في عام 1902م كمدير مجلة أحسن الأخبار الصادرة من مدينة كولكاتا ثم عمل في عام 1903م كمدير مساعد لمجلة "خدنغ نظر" نظر" الشهرية الصادرة من مدينة لكناؤ ، إلى أن أصبح في عام 1905م مديرا مساعدا لمجلة الندوة الشهرية الصادرة من مدينة لكناؤ ثم تولى في عام 1907م إدارة صحيفة الوكيل الصادرة من مدينة امرتسار في بنجاب (انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م، ص 18-19)

([10]) قابل مولانا ألطاف حسين حالي في عام 1901م وكان صغيرا ولكنه كان قد اشتهر كعالم وكاتب صحفي ومفكر هندي فلما ذهب مع مولوي وحيد الدين سليم لمقابلة مولانا حالي لم يتيقن مولانا حالي انه أبو الكلام آزاد فاستفره مرتين ثلاث مرات.(انظر قصة آزاد ص 230)

([11]) هناك خلاف في العام الذي التقى فيه مع العلامة شبلي النعماني وقد كتب الدكتور شمس بدايوني مقالا قيما حول هذا الموضوع وبعد ذكر جميع الأقوال في الموضوع ذهب إلى أنه قابل العلامه شبلي في عام 1904م.(انظر شبلي وآزاد ص 30)

([12])قصة آزاد ص 238

([13]) أول مؤتمر شارك فيه هو مؤتمر انجمن حمايت الاسلام الذي تم عقده في الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شهر ابريل لعام 1905م في مدينة لاهور وكان مولانا آزاد آنذاك لم يتجاوزعمره ثماني عشرة سنة(انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م ص 18)

([14])شارك في العام المقبل في مؤتمر حمايت الاسلام وخطب فيهحول موضوع "الاسلام في العصور المقبلة"(انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م ص 18)

([15]) زار العراق في عام 1905م ثم في عام 1908 و 1909م زار فرنسا وبعض بلاد غرب آسيا"انظر الهند تفوز بالحرية ص 76-77)

فنشر له عدة كتب منها "تذكرهوجامع الشواهد، مسئلة الخلافة والجزيرة العربية وترجمان القرآن وغبار خاطروكاروان خيال"وغيرها من الكتب المهمة.

شارك في المقاومة الوطنية ضد الغاشمين الإنجليزفرأس مؤتمرات عديدة عقدت في أنحاء البلاد[1] إلى أن أصبح في عام 1930م رئيسا للمؤتمر الوطني بالنيابة ثم في عام 1940 م رئيسا للمؤتمر الوطني وظل على هذا المنصب إلى عام 1946م[2] وفي هذا الأثناء تم حبسه عدة مرات من قبل الإنجليز في سجون عديدة في البلادولما فازت الهند بحريتها وحصلت على استقلالها في عام 1047م أصبح مولانا أبو الكلام آزاد أول وزير المعارففي الهند.

لقد حصل مولانا آزاد بعد كل هذا النضال العلمي والسياسي الطويل على خبرات علمية وسياسية وإدارية واسعةجعلته مفكرا كبيرا وسياسيا عظيما وإداريا ماهرا فلما أصبح وزيرا للتعليم أسس بنيانه ورسخ قواعدهوبذل محاولات مشكورة في ترويج التعليم التقني في الهند وأعد خطة لتعليم الكباروقام بتنفيذها وأكد على تعليم النسوة في البلاد. أسس المجلس الأعلى للتعليم وأكاديمية الآداب الهندية ومعهد التكنولوجيا وغيرها من المؤسسات والمنظمات التي تشهد على طول باعه وخبراته الإدارية والسياسية.

لما أصبح مولانا آزاد وزيرا للتعليم أراد أن يقوم بتأسيس مجلس ثقافي يمكن من خلاله تصحيح أفكار العالم العربي والإسلامي الخاطئة عن الهند وقد طلب من رفيقه عبد الرزاق المليح آبادي الذي كان يسكن آنذاك في مدينة كولكاتاأن يأتي إليه ويقابله في مكتبه في دلهيفلما جاء اليه قال له مولانا آزاد:

"العالم الإسلامي بعامة والعالم العربي بخاصة لا يعرف عن الهند البتة ،الناسفي العالم العربي والإسلامي يظنون أن أهل الهند يأخذون قطعا من الأحجار، ينحتونها ثم يجعلونها آلهة لهم ويعبدونها، هم لا يعرفون عن تاريخ الهند القديمة وحضارتها وفلسفتها وآدابها وأديانها بل هم لا يعرفون أيضا عن التاريخ الإسلامي في الهند ومدى أهميته".

([1])رأس مؤتمر الخلافة لعموم الهند بمدينة ناغفور في عام 1920م ومؤتمر جمعيةعلماء الهند بمدينة لاهور في عام 1921م ومؤتمر الخلافة لعموم الهند بمدينة كانفور في عام 1925م(انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م ص 18- 19)

([2])انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م و أبو الكلام آزاد شخصيته وأعماله ص 105

يقول المليح آبادي "قلت له بل هم لا يعرفون عن الهند المعاصرة والحديثة أيضا، فلما كنت أدرس في مصر كان الناس يسألوننا هل يوجد لديكم نهر مثل النيل وكانوا يظنون أن الإنجليز يضعون أقدامهم على ظهور الهنود ثم يركبون على الفرس".

فقال له مولانا آزاد "ولذلك أريد أن نقوم بتأسيس مجلس ثقافي يستطيع أن يقوم بتوطيد العلاقات الثقافية بين الهند والعالم الإسلامي والعربي وتكون له بالعربية مجلة قيمة تعرض الهند في ثوبيبدأ العالم الإسلامي باحترامها"[1]

وهكذا قام مولانا آزاد بتأسيس المجلس الهندي للعلاقات الثقافية في عام 1950م[2] وكان رئيسا لهمدىحياته وكان يشرف على جميع أموره الإدارية بنفسه وقد كتب أمين مكتبة المجلس الهندي للعلاقات الثقافية السيد غولزار نقوي مقالا وضح فيه من خلال القرارات التي أثبتها مولانا آزاد بخط يده على ملفات المجلس أنه "كان يأخذ جميع القرارات بعيدا عن المشاعر الغير الأخلاقية"وكان مولانا آزاد يراعي دائما ظروف المجلس وظروف مؤظفيه وعماله وكان يأخذ قرارات عادلة ومنصفة بين الناس.

وحسب ما روى غولزار نقوي كان مولانا آزاد في الأيام الأولى للمجلس يقوم بالإشراف على جميع الأمور الإدارية صغيرة كانت أم كبيرة وبالقصص التالية نستطيع أن نفهم أنه كم كان يراعي ظروف المجلس وكم كان يهتم باستخدام أموال المجلس استخداما صحيحا.

ففي عام من الأعوام لما بدأ موسم الصيفلم يكن هناك تنظيم جيد للماء البارد في المكتب وكذلك كانت هناك حاجة للكراسي من أجل زيادة عدد المؤظفين في المكتب فافتُرح عليه شراء أربع جرار وعدة كراسي للمكتب وتم تقديم الملف أمام مولانا آزادبهذا الخصوص فكان و افق على شراء الجرار وكتب بالنسبة للكراسي أنه ليس لها حاجة لأنه يمكن الشغل بالجلوس على الأرض[3]

ومرة طلبمنه سكرتير المجلس أن يو افق على زيادةفي راتب الدكتور ايه سي سين مدير مجلة المجلس فأبدى مولانا آزاد رأيه في هذا الخصوص وكتب:"أن مجلة المجلس تصدر مرة في كل ثلاثة شهور والبحوث التي تنشر فيها يكتبها كتاب وأدباء مختلفون ، وهم يحصلون عليها مكافأة جيدة والسيد سين

([1]) قصة آزاد ص 259-260

www.iccr.gov.in([2])

([3])انظر مجلة أيوان اردو نيو دلهي ديسمبر 1988م ص 142

يقوم فقط بترتيبها وإرسالها إلى المطبعة ففي هذه الحالة أرى أن الراتب الذي يصرف له ليس بقليل"[1]

ومن أمر آخر يتضح بأن مولانا آزاد كان شديدا جدا لمن لم يكن يحسن واجبه وعمله فقد كتب إليه سكرتير المجلس أن رئيس المجلس أقر زيادة سنوية في راتب شخص .... من الواحد من شهر يونيو عام 1953م وأرفق معالملفنسخة من خطاب تعيينه فكتب عليه مولانا آزاد:

"الذي أعرف عنه أنه لا يؤدي أعماله بصورة جيدة ولذلك كنت أرى أن يحيل عن الخدمة لكن بما أن سكرتير المجلس شفعني فيه وقال لي أنه تم إصدار إنذار له بهذا الخصوص فأنا أقبل شفاعته وأغير رائي فيه وأرجو منه أن يحسن عمله وتعامله ولكن أقل ما يمكن أن يقرر في حقه أن توقف ترقيته هذه السنة فإن أثبت بعمله وتعامله جدارته للترقية فسنفكر السنة القادمةفي ذلك. ..... وعلى السكرتير أن يبلغه بهذا القرار".

وبعد هذا القرار كتب ذلك الشخص طلبا باللغة الإنجليزية إلى مولانا آزاد وطلب منه أن يعيد النظر في قراره فكتب مولانا آزاد "لقد أخذت هذا القرار بعد تفكير طويل ولذلك لا يمكن التعديل فيه"[2]

من عادة المسؤولينفي هذه الأيام أنهم يكتبون إلى سكرتيرهم أو من يهمه الأمر أن يتحدث معهمشخصيا في مسألة ما فهكذا كتب مولانا آزاد في إلى السكرتير: "السيد السكرتير، تحدث معي شخصيا في الموضوع مع هذا الملف"[3]

ومرة أصدرمولانا آزاد قرارا بأن نائب الرئيس يستطيع أن يقرر إنفاق ألف روبية ولكنه يبلغ رئيس المجلس بذلك. إنفاق ألف روبية يعني أنه لا يستطيع إنفاق أكثر من ذلك في وقت واحد وإن اقتضت الحاجة إنفاق أكثر من ذلك فعليه أن يحصل أولا مو افقة الرئيس على ذلك"[4]

وهناك قصص أخرى توضح أن مولانا آزاد لم يكن خاليا من مشاعر المؤاساة والتعاطف والصداقة الإنسانية ومنها أنه كان قد تم تعيين شاب مؤظفا في المجلس في عام 1952م وقد كان محيطا بالمشكلات المالية وحسب ما ينص عليه القانون لا يمكن تعيين شخص في المجلس يكون عمره أقل من ثمانية عشرعاما والشاب الذي كان قد تم تعيينه لم يكن قد تجاوز ستة عشر عاما لكنه من أجل ذكائه

([1]) المرجع نفسه ص 142
([2]) المرجع نفسه ص 147
([3]) المرجع نفسه ص 158
([4]) المرجع نفسه ص 158

ومواهبه حصل على وظيفة في المجلس وبعد عامين لما أجري التدقيق من قبل الحكومة وجد أنه لم يتم تعيينه حسب القوانين الحكومية المتبعة في المجلس فاعترض عليه أعضاء التدقيق ولكنه بما أن ذلك الشاب قد وصل آنذاكثمانية عشر عاما من عمره ولم يكن من الممكن إحالته عن الوظيفة اقترح الأعضاء أمام رئيس المجلس أن تحسب خدماته الماضية على وظيفة راتبها أقل وعلى ذلك يجب عليه أن يرجع خمسة وسبعين روبية من الراتب الذي حصل عليه فكان هذا القرار مشكلة كبرى لذلك الشخص الذي لم يكن يحصل إلا على راتب ضئيل ولم يكن يستطيع أن يرجع ذلك المبلغ فكتب تفاصيل مشاكله في ورقة وقدمها إلى رئيس المجلس مولانا آزاد فبعد أن نظر مولانا آزاد على ظروفه ومشاكله أصدر قراره كالتالي:

"بما أنه لا يستطيع أن يرجع المبلغ و أنه لم يرتكب خطأ بل كان هذا مسئولية الإدارة ولذلك لا نطلب منه أن يرجع المبلغ ، بل أرفع عنه دفع هذا المبلغ"[1]

لقد كان يعمل السيد نورالدين الذي كان ابن اخيه أبو النصركأمين فخري لمكتبة المجلس ثم تم تعيينه على تلك الوظيفة من شهر أكتوبر لعام 1955م فكان قرار مولانا آزاد بهذا الخصوص كالتالي:

"لقد علمت أنه تم قرار صرف الراتب للسيد نورالدين من شهر أغسطس ولذلك لابد أن يصرف له الراتب من أغسطس وليس من أكتوبر" [2]

ولكنه لما قدم استقالته اعتمد عليها مولانا آزاد فورا ولم يتأخر في إصدار قراره لكونه ابنا لأخيه الشقيق وبعد قرابة عام لما ظلت وظيفة أمين المكتبة شاغرة وو افق السيد نورالدين أن يعمل عليها بدون راتب و افق عليه مولانا آزاد وكتب:

"بما أنه لازالت وظيفة أمين المكتبة شاغرة والسيد نورالدين أحمد و افق على أنه سيعمل بدون راتب ولذلك يتم تعيينه على تلك الوظيفة ويصرف له روبية واحدة فقط كراتب شهري"[3]

كل هذه القرارات والأوامر تدل دلالة واضحة أن مولانا آزاد كان يشرف بنفسه على جميع أمور المجلس الهندي للعلاقات الثقافية وكان يعمل كإداري له خبرة طويلة واسعة في إدارة الأمور كما يتضح جليا أن مولانا آزاد بعض الأحيان يراعي ظروف المؤظفين الإنسانية ولكن في الوقت نفسه كان شديدا جدا لمن لا تستحق ظروفه مراعاتها.

([1]) المرجع نفسه ص 142

([2]) المرجع نفسه ص 159

([3]) المرجع نفسه ص 161

لقد وضع السيد غولزار نقوي صورا من ملفات المجلس التي أثبت عليها مولانا آزاد تعليقاته وقراراته بخط يده ويلاحظ أن سكرتير المجلس كان يرفع إليه جميع الملفات والطلبات بالإنجليزية ولكن مولانا آزاد كان يعلق عليها باللغة الأردية وبخط واضح وجميل جداومن يريد أن يراجع تلك الملفات فليراجع مجلة أيوان اردو الشائعة من اكادمية اللغة الأردية بنيو دلهي في شهر ديسمبر لعام 1988م.

****